24 ربيع الأول 1448
06/09/2026

التفسير المحرر-463-2.1

أي أبدأ قراءتي وتلاوتي متبركًا باسم الله، الرَّحْمَن: ذو الرَّحمة الواسِعة لجميع خلقه، والرَّحِيم: ذو رحمةٍ خاصَّة، يختصُّ بها عبادَه المؤمنين.

الحَمْدُ: هو وصفُ المحمود سبحانه بالكَمال، مع محبَّته، وتعظيمِه جلَّ وعلا فجميعُ المحامد له سبحانه، لا يستحقُّها إلَّا الله وحده، فهو السيِّد، والمالِك، والمدبِّر لجميع خلقه.

الرَّحْمَن: ذو الرَّحمة الواسِعة لجميع خلقه، والرَّحِيم: ذو رحمةٍ خاصَّة، يختصُّ بها عبادَه المؤمنين.

المتصرِّف في جميع خلْقِه بالقول والفِعل يوم الجَزاء والحِساب.

لا نعبُد إلَّا أنت، متذلِّلين لكَ وحْدَك لا شريكَ لك، ولا نستعين إلَّا بك وحْدَك لا شريكَ لك.

دُلَّنا على الطَّريق الواضِح الذي لا اعوجاجَ فيه، ووفِّقنا لسلوكه، وثبِّتنا عليه.

طريق الذين أَنعمَ الله تعالى عليهم بالهِداية، وهم الذين علِموا الحقَّ وعمِلوا به؛ فهم ليسوا كاليهود الذين غضب الله عليهم، وليسوا كالنَّصارى الذين جهِلوا الحقَّ، فعبَدوا الله تعالى بغير عِلم.

هذه الحروفُ المقطَّعة التي افتُتِحَت بها هذه السُّورة وغيرها، تأتي لبيان إعجازِ القرآن؛ حيث تُظهِر عجْزَ الخَلْق عن معارضته بمثلِه، مع أنَّه مركَّبٌ من هذه الحروف العربيَّة التي يتحدَّثون بها

هذا القرآن، لا شكَّ في أنَّه حقٌّ في ذاته، وأنَّه نزَل من عند الله تعالى، كما أنَّه لا يتضمَّن ما يوجب الرَّيْب وهو هدًى من

الضلالة، ونورٌ وتبيان للذين يتَّقون غضبَ الله تعالى وعقابَه، بامتثال ما أَمَر الله تعالى به، واجتنابِ ما نَهَى عنه

ومِن صفات المتَّقين أنَّهم يُصدِّقون ويُقِرُّون بالغيب، كالإيمانِ بالله تعالى، وملائكتِه، وكُتبِه، ورُسلِه، واليومِ الآخِر، ويؤدُّون الصَّلوات بحدودِها، وفروضِها، وواجباتها، كما أمَر الله عزَّ وجلَّ، ويُخرِجُون من طيِّب ما أعطاهم ربُّهم من الأموال

ومن صِفات المتقين أيضًا، أنَّهم يؤمنون بالقرآن الذي أُنزل إلى محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، ويُؤمنون أيضًا بجميع الكتُب السماويَّة السابقة، من قَبل بَعثةِ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ ويؤمنون إيمانًا لايتطرَّق إليه شكٌّ بالبعث والنُّشور، والثواب والعِقاب، والحِساب والميزان، وغير ذلك ممَّا أعدَّ الله تعالى لخلْقِه يومَ القِيامة

إنَّ المتَّصفين بجميعِ ما تقدَّم ذِكرُه من صِفات المتقين، على نورٍ وبُرهانٍ وبصيرةٍ من ربِّهم سبحانه وهم أيضًا فائزونَ بإدراك ما طلَبوا، وبالنَّجاة ممَّا منه هرَبوا

إنَّ الذين كفروا، يتساوى في حقِّهم كِلا الأمرين، الإنذارُ وعدمه، فهم في كِلا الحالين لا يؤمنون بما جِئتَهم به- يا أيُّها الرسولُ- من الحقِّ

طَبَع اللهُ على قلوبهم، فلا يَنتفعون بهُدى، وعلى أبصارهم غِطاء، فلا يُبصرون هُدًى، ولهم عذابُ النَّار

إنَّ المنافقين يقولون بألسنتهم: آمنَّا بالله، وبالبعث يومَ القيامة، قولًا مجرَّدًا ليس معه إيمانٌ حقيقيٌّ

هؤلاء المنافقون يخادعون الله والمؤمنين بإظهارِهم الإيمانَ، وإبطانهم الكفرَ وإنَّهم في الحقيقة هم المخدُوعون

بصَنيعهم الذي يَحسَبون أنهم يخادعون به ربَّهم والمؤمنين، وذلك بخِذلان الله تعالى لهم في الدُّنيا والآخِرة، وهم مع ذلك لا يَدرُون بأنَّهم مخدوعون

في قلوب هؤلاء المنافقين شكٌّ ونفاق؛ فزادهم اللهُ تعالى شكًّا ونفاقًا. ولهم عذابٌ مؤلِم بسبب كذَبِهم في دعواهمُ الإيمانَ، وبسبب تكذيبهم لله تعالى ورسولِه عليه الصَّلاة والسَّلام

إذا قيل للمنافقين: لا تفسدوا في الأرض بالنِّفاق والكفر ومعصية الله، واتِّخاذ الكافرين أولياء، والصَّدِّ عن سبيل الله،... إلى غير ذلك- ادعوا أنَّ ما يفعلونه من الفَساد، إصلاحٌ

ألا إنهم هم المخالِفون في الحقيقة أمرَ الله عزَّ وجلَّ بالكُفر والمعاصي، ولكن لا يَدْرُون ولا يَفطنون إلى أنَّ ما يفعلونه هو فسادٌ في الحقيقة

وإذا قِيل للمنافقين: آمنوا بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، وبما جاءَ به من عند الله عزَّ وجلَّ، كما آمن أصحابُ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، وكلُّ مَن آمن به- يقولون: أنؤمِنُ كما آمَن ذوو الجهل وضعف الرأي وقلة المعرفة بالمصالح والمفاسد فنكون نحن وإيَّاهم على طريقةٍ واحدة، يعنون الصحابة رضوان الله تعالى عليهم. ألا إن هؤلاء المنافقين هم السُّفهاء في الحقيقة، حيث يُفسِدون في الأرض، ويظنُّون أنَّ ذلك هو عينُ الإصلاح، وهذا هو السَّفَه

وإذا لقِي المنافقون المؤمنين، أظْهَروا لهم الإيمانَ نفاقًا. وإذا انصَرفوا إلى رُؤسائهم، من سادات الكفَّار والمشركين والمنافقين، خالِين بهم قالوا نحن معكم على دِينكم، إنما نحن ساخرون بهم بقولنا لهم: آمَنَّا بالله وَبِاليَومِ الآخِرِ

الله تعالى يستهزئ بهم فيجرى لهم ما للمؤمنين من الأحكام الظاهِرة، كعِصمة دِمائهم وأموالهم، لكنَّه سبحانه يُميِّز بينهم وبين المؤمنين في الآخِرة، ويُلقي بهم في الدَّرك الأسفل من النار، وهذا من الله سبحانه مقابلة لهم على استهزائهم بالمؤمنين. ويَزيدهم -على وجه الإملاءِ، والتَّرْك لهم- في عتوّهم وتمرُّدهم بالكُفر، يتردَّدون حيارَى ضُلَّالًا، ولا يجدون إلى المخرَج من ذلك سبيلًا

أُوْلَـئِكَ المنافقون الَّذِينَ استعاضوا بالضَّلالة عن الهُدَى فخسِروا بأخْذهم الضَّلالةَ، وتركِهم الهُدى؛ وما كانوا راشدين بصَنيعهم هذا

مثَّل المنافقين الذين آمَنوا أو أظهروا الإيمان ثم كفَروا، كمثَّل مَن أوقَد نارًا؛ لتضيءَ له، وينتفعَ بها، فلما أنارتِ النارُ ما حولَ المستوقِد، فأبصر بها ما ينفعُه وما يَضرُّه، انطفأ النور، فذهب عنهم ما يَنفعُهم وهو النور، وبقِي لهم ما يضرُّهم وهو الإحراقُ والدُّخَان؛ وبقُوا في عِدَّة ظلمات، منها: ظُلمة اللَّيل، والظُّلمة الحاصِلة بعد فقْد النور، وهي أشدُّ من الظُّلمة الأُولى، والمراد بذلك أنَّ المنافقين أبصَروا الحقَّ، أو أنهم انتفعوا به انتفاعًا مؤقَّتًا، حيثُ حقنوا دماءَهم، وأحرزوا أموالَهم، فكفروا بعد إيمانهم، فبقِيت في قلوبهم حرارةُ الكفرِ والشُّكوكِ وبقُوا في ظُلمات الكُفر، والشُّكوك، والنِّفاق

لا يَسمعون هُدًى، ولا يَنطِقون به، ولا يُبصرونَه بقلوبِهم ولا يَعودُون إلى الهُدى الذي باعوه بالضَّلالة

أو مثل المنافقين كمطر نازل من السماء والمرادُ به: القرآنُ الذي نزَل من عند الله تعالى، والذي يُظهر المنافقون بألسنتِهم

إيمانَهم به، مع هذا المطر ظلمات هي ظُلمة اللَّيل، وظُلمة السَّحاب، وظُلمة المطر، والمرادُ: ما عليه المنافقون من الشكِّ، والكُفر، والنِّفاق، ومعه رعد: والمراد به: وعيدُ القرآن وزواجره، وأوامِره ونواهيه، وبرق: والمراد به: حُججُ القرآن وبراهينه التي تُبهرهم. يضعون أصابعَهم في آذانِهم؛ كي يتَّقوا سماعَ أصوات الصَّواعق، والمرادُ بالصَّواعق: آياتُ القرآن التي تتضمَّن التكاليفَ الشرعيَّة، والوعيدَ، وغيرَه، والمرادُ: أنَّهم يتَّقون سماعَ زواجر القُرآن الكريمِ ووعيده، وحذرًا من حلول الوعيد الذي توعَّدهم اللهُ به في القُرآن، وإشفاقًا من حلول عُقوبةِ الله بهم على نِفاقِهم؛ إمَّا عاجلًا في الدُّنيا، وإمَّا آجلًا في الآخِرة. والله محيط بالكافرين قدرةً وعلمًا، فلا يُعجِزونه، ولا يُغني عنهم حذرُهم شيئًا

يوشك البَرقُ من شِدَّة لَمَعانه، وقوَّة ضيائه -مع ضَعْف أبصارهم- أنْ يذهب بها فيُعميها، والمرادُ: أنَّ شِدَّة نور القرآن- بما يحويه من حُججٍ وبراهينَ ساطعة، يرَون معها الحقَّ واضحًا جدًّا- لا تتحمَّله بصائرُهم الضَّعيفة وإذا ظهر لهم نورُ الحقِّ، ولَمَع في قلوبِهم مشَوْا على ضوئِه، وخطَوا خُطواتٍ يسيرةً، لكنَّه لا يستقرُّ في قلوبهم المظلِمة بالشُّبهات والشكوك القويَّة، فلا يلبَث أن ينطفِئ، فيقفون حائرين! عائدين إلى تَكذيبهم، فهُم في هذه الحال في شكٍّ وتردُّد وهذا تهديدٌ ووعيدٌ لهم بإذهاب أسماعِهم وأبصارهم؛ عقوبةً لهم على نِفاقهم وكُفرهم، والله ذو قُدرةٍ على إيقاع ما أوعد به هذا الصِّنفَ من المنافقين، فلْيحذروا نِقمةَ الله وعذابَه عاجلًا أو آجلًا؛ فإنَّه سبحانه وتعالى لا يُعجزه شيءٌ أبدًا

يا أيُّها الناس اعبُدوا اللهَ تعالى؛ لأنَّه هو الذي أوجدكم أنتم ومن قبلكم من العدم؛ وذلك من أجل أن تصلوا إلى مرتبة التقوى

اعبُدوا ربَّكم أيضًا؛ لأنه هو الذي جعَل لكم الأرض ممهَّدةً كالفِراش، موطأةً مثبَّتةً يستقرُّ عليها الإنسان، وجعَل لكم السماء سقفًا وأنزل من السَّحاب مطرًا؛ فأنبت للناس بسببه أنواعًا متعدِّدةً من الثِّمار؛ رزقًا لهم. فلا تتَّخذوا لله أمثالًا ونظراءَ بزعمكم، وهو الذي خلَقَكم ورزقكم؛ فهو المستحقُّ لأنْ تُخلصوا له العبادة وحده لا شريكَ له، وأنتم تعلمون أنَّه إلهٌ واحدٌ، لا ندَّ له ولا شريكَ له في الخَلْق والرَّزْق وغير ذلك.

إذا كنتم- أيُّها الكفَّار والمنافقون- في شكٍّ من نزول القرآن من عند الله سبحانه على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، فأتُوا من عندكم بسورةٍ من مِثل القرآن، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من غير الله عزَّ وجلَّ، من كل من يشهد لكم فيوافقكم على عدم الإقرار بنزول هذا القرآن من عند الله تعالى، وذلك كأعوانكم وشركائكم، إن كنتم محقِّين في دعواكم أنَّ القرآن كلامٌ مختلَق تقوَّله بشر

فإنْ لم تأتوا بسورةٍ من مِثل القرآن، ولن تأتوا بها أبدًا، فاجعلوا بينكم وبين عذاب النار وقايةً بفِعل أوامره سبحانه، واجتناب نواهيه؛ لتنقذوا أنفسكم من النَّارِ التي يُلقَى فيها العصاةُ من الناس، والحجارةُ؛ لإيقادِها وإضرامِها، وقد جُهِّزت وهُيِّئت مسبقًا لكلِّ مَن كفر فترك التصديقَ بالحقِّ والإقرار به والانقياد إليه وَالْحِجَارَةُ قيل: هي حجارةُ الكِبريت، وهي أشدُّ الأحجار حَرًّا إذا حَمِيتْ، وقيل المراد بها: الأصنام

أخْبِر يا أيُّها الرَّسولُ، الذين آمَنوا بالله عزَّ وجلَّ، وآمَنوا بك، وبما جِئتَ به من عند الله تعالى، وصدَّقوا إقرارَهم ذلك بأعمالهم الصالحة- أخْبِرْهم خبرًا يسرُّهم، بأنَّ لهم في الآخرة جنات، تجري الأنهارُ من تحت أشجارها وغُروسِها وغُرَفها. كلَّما أُعطوا أيَّ ثمرةٍ من أشجار الجَنَّة، ظنُّوا أنَّها نفس الثَّمرة التي أُعطوها سابقًا في الدنيا؛ لمشابهتها إيَّاها في المنظر، أو أنها التي أُعطوها في وقتٍ سابقٍ في الجنة، وإنَّما أُعطُوا الذي رُزِقوا من ثمارِ الجنَّةِ متشابهًا في اللَّون والمنظَر، لكنَّ الطعم مختلفٌ وإنَّ الذين آمنوا وعمِلوا الصالحات، لهم في الجنَّاتِ زوجاتٌ مطهَّرات من كلِّ أذًى ومكروه وريبة، طهارةً حِسيَّةً ومعنويَّة وهم باقونَ في الجنَّات على الدَّوام، آمِنون من الموت، وانقطاع النَّعيم

إنَّ الله تعالى لا يَمنعه الحياء أن يضرب المثل بأيِّ شيءٍ كائنًا ما كان، ولو كان في الحقارة والصِّغر كالبعوضة فما فوقَها ممَّا هو أكبرُ منها، أو دونها في الصِّغر؛ وذلك لاشتمال الأمثال على الحِكمة، وإيضاح الحقّ فأما الذين أقرُّوا وصدَّقوا بقلوبهم وجوارحهم، فيَعلَمون أنَّ هذا المثَل المضروب حقٌّ، فيؤمنون به ويتفكرون فيه وأما الذين كفروا فيعترضون ويتحيَّرون، ويقولون ما الذي أراد الله بهذا المثل؟ وإنَّ ضرب المثل في القرآن بالشيء الحقير اختبار يتميَّز به المؤمن من الكافر، فهو إضلالٌ لكثيرٍ من الناس، وهم المنافقون والكفَّار، وهدايةٌ لكثيرٍ من الناس، وهم المؤمنون. ولا يُضلُّ اللهُ سبحانه بهذا المَثَل المضروبِ إلَّا الخارجين عن طاعتِه من أهل الكفر والنِّفاق، وهذا ما تقتضيه حِكمتُه وعدلُه

يصِف اللهُ تعالى الفاسقين الذين يَضلُّون بالمَثل المضروب، فيُخبر أنَّهم الذين يَنْقُضونَ العهدَ الذي أخذ عليهم من بعد تأكيدِه. وهو وصيةُ الله تعالى بالإيمان به سبحانه وبجميع رُسله- ومنهم محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ- كما عهد إلى بني إسرائيل بذلك فنقضه كفارهم. ويَقطعون كلَّ ما أمر الله تعالى بوَصلِه، كالأرحام، والتَّصديق بالأنبياء، وغير ذلك من شرائع الدِّين ويفسدون في الأرض بالكُفر والمعاصي وإنَّهم بكُفرِهم وأفعالِهم التي يرتكبونها قد ضلُّوا، فحَرَموا أنفسهم من الرِّبحِ الحقيقيِّ بنَيلِ رحمة الله تعالى، والحصولِ على الفوزِ الأبديِّ

كيف يحصل منكم الكفر بالله وقد كنتم عدما فأنشأكم وخلقكم من العدم؛ وأخرجكم إلى الدنيا وأنعم عليكم بأصناف النعم؛ ثم يميتكم عند استكمال آجالكم؛ ثم يحييكم بعد موتكم للبعث والنشور ثم ترجعون إليه؛ فيجازيكم على أعمالكم

الله سبحانه هو الذي أوجَد لكم- من فَضله وكرمِه- جميعَ ما على الأرض؛ للانتفاعِ به، والاستمتاعِ، والاعتبار وبعد أنْ خلَقَ اللهُ تعالى الأرض ، علا وارتفع قاصدًا إلى خَلْقِ السَّموات، فخلَقها بإحكامٍ وإتقانٍ، وهو العليم بما يَخلُق، وكيف يَخلقُه، كما أنَّ عِلمه سبحانه محيطٌ بجميع ما خلَق.

واذكر يا محمَّد، حين قال ربُّك للملائكة أنَّه سيجعل في الأرض خليفةً، وهو آدَمُ عليه السَّلام، وذُريتُه من بعده، يَخلُف بعضُهم بعضًا، جيلًا بعد جِيل فقال الملائكةُ لربِّهم مُستَعْلمين لا مُعْتَرِضين: ما الحِكمةِ من إقامة ذُرِّية آدَم في الأرض، والحال أنَّهم سيُفسدون فيها، ويُعمِلون القَتلَ بينهم، ولم نُستخلفْ نحن في الأرض مع أنَّنا دائمون على تسبيحك تسبيحًا مصحوبًا بالحمدِ

لك ودائمون على التقديس لك بوصفك بالطهارة من جميع الأدناس؟ قال الله للملائكة: إني أعلم ما خفِي عليكم ممَّا يحصُل بخَلْق البَشَر من المصالِح والحِكم، ومِن ذلك: أنَّه يكونُ منهم الرُّسُل والأنبياء والصِّدِّيقون وغيرُهم ممَّن يُحقِّق عبوديةَ الله تبارك وتعالى

وعَلَّم الله تعالى آدَمَ عليه السَّلام أسماءَ كلِّ شيء وأظْهَر الله تعالى تلك المسمَّياتِ للملائكة، وامتحنهم تحديًا لهم، فأمَرهم أن يُخبروه بأسماء ما عَرَض عليهم، إنْ كانوا حقًّا صادقين في دَعواهم بأنَّهم على علمٍ بالأشياء، ومستحَقُّون للأفضلية على آدَم

قالت الملائكة: تنزيهٌ لك فلا علم لنا بأي شيءٍ، إلَّا ما علَّمتنا، إنك أنت العليم بغير تعليم، الحكيم الذي يضَعُ الأشياءَ مواضعَها، فهو حكيمٌ في خَلْقه وأمْره، وفي تعليم مَن يشاء

قال اللهُ تعالى: يا آدَمُ أخبر الملائكةَ بأسماء الأشياء التي لم يعرفوها، فلمَّا أخبرهم آدَمُ بتلك الأسماء، فسمَّى كلَّ شيء باسمه، ظهَر فضلُه وشرفُه عليه السَّلامُ على الملائكة، فقال الله تعالى مقرِّرًا بأنه قد قال لهم من قَبلُ بأنَّه يعلم كلَّ ما يَغيب عن الخلْق، سواء في السموات أو في الأرض، كما يعلم سبحانه ما يُظهِره الملائكة، وما يُخفونه

واذكر إذ قلنا لجميع الملائكة اسجدوا لآدم -إكرامًا وتعظيمًا له وعبوديةً لله تعالى- فبادَروا جميعًا بالسجود، إلا إبليس امتنع من السجود، وتَكبَّر على أمر الله تعالى، وعلى آدَم، وكان من الكافرين

وقال الله: يا آدم اسكن أنت وحواء الجنة وكلَا منها رِزقًا واسعًا هنيئًا، لا عناءَ فيه ، تنالانِه فيها حيثُ شئتما من أصناف

الثمار والفواكه ولا تقربا هذه الشجرة التي نهيتكما عن الأكل منها فتكونا من الظالمين بعصيان ما أمرتكم به.

فأوقعهما الشَّيطانَ في المعصية والزَّلل، فأبعدهما عن الجَنَّة وأخرجهما من الرِّزق الواسع، والعيش الهنِيء، الذي كانَا ينعمان به فيها، وذلك بأكْلِهما من الشجرة. وقال الله تعالى لآدَمَ وحواءَ وإبليس: اهبطوا إلى الأرضِ؛ بعضكم لبعض عدو. تستقرُّون على ظهرها أحياءً، متمتِّعين بما أرزُقكم، إلى أجَلٍ مُعيَّن، وهو انقضاءُ أعمارهم، وتستقرُّون في بطنها مقبورينَ إلى وقتٍ مُحدَّد، وهو قيام السَّاعة

فلقَّن الله عزَّ وجلَّ آدَمَ كلماتٍ تحصُل بها توبتُه، فتلقَّفَها آدَمُ عليه السَّلامُ متلقِّيًا لها بالقَبول، فاعترَف بذنبه، وسألَ اللهَ تعالى مغفرتَه ورحمتَه، فَتَابَ الله عليه ورحِمه، فهو كثير التَّوْب، يوفق عبده للتوبة أولًا، ويقبلها منه ثانيًا، وهو الرَّحيمُ بعباده المؤمنين، يختصُّهم برحمته سبحانه

قال الله تعالى لآدَمَ وحواءَ وإبليسَ: اهبطوا من الجَنَّة، مُجتمِعين في هُبوطكم فإنْ جاءكم وذرياتكم في أيِّ وقت كتابٌ أو رسول يبيِّن لكم الطريقَ، ويرشدكم إليه، واتَّبعتموه في ذلك، فإن لكم الأمنَ التامَّ، والسرور الدائم، فلا تخافون ممَّا تستقبلون، ولا على ما فاتكم من أمور الدُّنيا تحزنون

والذين كفروا فلم يتَّبعوا هُدى الله عزَّ وجلَّ وجَحَدوا الحقَّ، وكذَّبوا بالآيات الشرعيَّة أو الكونيَّة، فأولئك أهل النارِ الملازمين لها على الدَّوام، لا يَخرُجون منها أبدًا

يا بَنِي يعقوب اذكروا نِعمَ الله عليكم، ومنها النِّعم التي سيأتي ذِكرُها في هذه السُّورة الكريمة، وذِكرُ هذه النعمِ يستوجب منهم

القيامَ بشُكر الله عليها، بالدُّخول في دِينه ومتابعة رسولِه عليه الصَّلاة والسَّلام. ولا تُخالفوا وصيةَ الله تعالى التي عَهِدَ بها إليكم من الإيمان به سبحانه، وبرسلِه، ومنهم محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، وإقامةِ شرْعه، وبيان الحقِّ الذي تعرفونه، فإنَّكم إن أنفذتُم وصيةَ الله تعالى لكم، أمضَى لكم ما وعدَكم به، وهو تكفيرُ السيئاتِ، ودخولُ الجنَّة، وإياي فخافون

وآمنوا بالقرآن الذي أنزله الله على محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ، موافقا ما لديكم من التَّوراة ولا تكونوا أوَّلَ مَن يكفُر به وبمَن أُنزِل عليه، وهو محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ ولا تستبدلوا آياتِي بعرض من الدنيا يسير كالإبقاء على المناصب والأموال وغير ذلك فتترُكوا الإيمانَ بي ، ومتابعةَ رسولِي من أجْل الدُّنيا وشهواتها، وإياي لا غيري فاتقون فإن ذلك يوجب تقديمَ الإيمان بآيات الله على كلِّ شهوةٍ فانية

ولا تخلْطوا الحقَّ الذي أنزله الله تعالى بالباطِل الذي افتَرَيتموه، بحيث لا يتمايزان، أو تظهروا الباطلَ في صورة الحق، ولا تكتموا الحقَّ -ومن ذلك نبوَّةُ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ-، والحال أنَّكم تعلمونه، وتعلمون ما في صَنيعكم هذا من الضَّرر العظيم على الناس

وأدُّوا الصلاة بأركانها، وواجباتِها على أحسنِ وجه، وأعطوا الصَّدقةَ المفروضة أهلَها المستحقِّين لها، وصلُّوا مع المصلين- ومنهم محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّمَ وأصحابُه رضي الله عنهم- وكونوا من جملتهم

أتأمرون الناس بالإيمانِ والخيرِ، وتتركون أنفسكم لا تأمرونها بذلك، والحالُ أنَّكم تقرؤون التوراةَ وتتدارسونها

بينكم، وتعلمون منها ما أُمِرتم به من الخير، وما عليكم إنْ قصَّرتم. أوَليس لكم عقولٌ تدركون بها ضلالكم، وتزجركم عن الوقوع في ذلك

واطلبوا العونَ على جميع أمور الدُّنيا والآخِرة بالصَّبر والصَّلاة، وإن الصَّلاة ثقيلةٌ وذات مشقَّة على الأنفُس، لكنَّها سهلةٌ وخفيفةٌ على مَن خشَع، وخضَع لله تعالى، وظهرَ أثرُ ذلك الخشوعِ على جوارحهِ

وهؤلاءِ الخاشعون هم الذين يوقنون بعودتهم إلى الله تعالى، والحشرِ إليه يوم القِيامة

يا بَنِي يعقوب اذكُروا نِعم الله عليكم ذِكرًا يحملكم على شُكرها، ومن ذلك الدُّخول في دِينه، واتِّباع رسولِه الكريم صلَّى الله عليه وسلَّمَ. واذكُروا تفضيلي لكم على سائرِ الأمم من أهل زَمانِكم، بإرسال الرُّسُل منكم، وإنزال الكتُب عليكم، وغير ذلك من النِّعم الخاصَّة

واتخذوا وقاية من يوم لا تَقضِي فيه نفْسٌ عن نفْس حقًّا وجَب عليها لغيرها، ولا يُغني فيه أحدٌ- كائنًا من كان- عن أيِّ أحدٍ ولو كان من عَشيرته الأقرَبِين شيئًا، ولو كان قليلًا جدًّا. ولا يُقبَل من أيِّ نفْسٍ شفاعةٌ لنفْسٍ أخرى إذا كانت كافرةً على الإطلاق. أمَّا المؤمنة فتُقبل منها، بإذن الله تعالى للشافع، ورِضاه عن المشفوعِ له. ولا يُقبَل منها فِداءٌ وليس لهم أحدٌ يُنقِذهم من عذابِ الله تعالى

واذْكُروا يا بني إسرائيل، نِعمتي عليكم بإنجاءِ آبائكم من شِيعة فِرعونَ وقومِه ومِلئِه، الذين كانوا يُذيقونهم سيئ العذاب وشديده، بذبْح الأبناء الذُّكور، واستبقاء الإناثِ أحياءً؛ لإذلالهنَّ،

وإهانتهنَّ، واستضعافهنَّ، وإنجاءُ الآباء إنجاءٌ لهم؛ وفي إنجائِنا لآبائكم من عدوِّكم نعمةٌ عظيمةٌ لكم من ربِّكم

واذكُروا يا بني إسرائيلَ إذ فلقنا بكم البحر وفَصَلنا بعضَه عن بعض؛ لتسلكوا طريقًا يابسًا بيْن أجزاء البحر، فأنقذكم اللهُ تعالى بذلك من فِرعونَ وقومِه، وأغْرَقهم الله تعالى جميعًا، وأمكَن بني إسرائيل من النَّظر إليهم بأبصارهم وهم يَغرَقون

واذكُروا يا بني إسرائيلَ مواعدتَنا لموسى تمامَ أربعين ليلةً، ثم عِبادتكم العِجلَ من بعد أنْ فارقَكم موسى متوجِّهًا إلى الموعِد، وأنتم ظالمون بوضعِ العبادةِ في غير موضعها

ثم تجاوزْنا عنكم بمحوِ أثر ذنبِكم بعبادة العِجل، فلم نعاقبْكم؛ لتكونوا من الشاكِرين نعمةَ الله تعالى عليكم بالعَفوِ

واذكُروا إعطاءَنا موسى التوراةَ، التي تُفرِّق بين الحقِّ والباطل؛ لتهتدوا بها باتِّباع الحقِّ الذي فيها

واذكُروا حين نادَى موسى عليه السَّلام قومَه: يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتِّخاذكم العِجلَ إلهًا تعبدونه؛ ولذا فقد وجَبتْ عليكم التوبةُ فتوبوا من هذا الجُرم الشنيع، في حقِّ مَن أَوجدكم من العدَم، فهو من يستحقُّ أن يُعبَد وحده، وذلك بأنْ يَقتُل بعضُكم بعضًا، فذلك خيرٌ لكم عند الله تعالى، فتاب عليكم؛ فهو كثير التوبة ذو الرحمة الواسعة

واذكُروا حين قلتُم لموسى عليه السَّلام، لن نصدِّقك ولن نُقرَّ بما جئتَنا به، حتى نرى الله عِيانًا، ننظُر إليه بأبصارنا فعاقَبَكم الله تعالى بالصَّعْقِ فمتُّم، ينظرُ بعضكم إلى بعضٍ حينَ أخذَكم الموتُ

ثم أحييناكم من بعد موتكم بالصاعقة التي أهلكتكم؛ لتشكروني على نعمتي عليكم بإحيائكم

وجعلنا السَّحاب الأبيض الرَّقيق يظلكم؛ لنَقِيَكم حرَّ الشَّمس في التِّيه وأنزَلنا عليكم رِزقًا طيِّبًا سهلًا: المنَّ والسَّلوى. والمنُّ قيل هو كل ما امتن الله تعالى به عليهم من الطعام والشراب، مما ليس في تحصيله كلفة ولا مشقة وقيل: هو شيءٌ يُشبِه العسلَ الأبيض حُلْوٌ ينزِلُ على الشَّجر كالندى. والسَّلوى طائر، قيل: هو السُّمَانَى، وقيل: يُشبه السُّمَانَى و قلنا لهم: كُلوا من طيِّبات ما رزقناكم، كهذا المنِّ والسَّلوى، فلم يقابلوا نِعمَنا بالشُّكر فظلموا أنفسهم؛ حيثُ عرَّضوها لسَخَطِ الله عزَّ وجلَّ وعِقابه وما ظلمونا فالله سبحانه وتعالى لا تضرُّه معاصي خَلْقه، ولا تنفعُه طاعاتُهم

واذكُروا إذ قلنا لبني إسرائيل ادخلوا بيت المقدِس، وكُلوا منها من أيِّ مكان فيها رِزقًا واسعًا هنيئًا وادخلوا أحدَ أبواب بيت المقدس رُكَّعًا متواضعين، واطلُبوا من الله تعالى أن يضَعَ عنكم ذُنوبَكم وخطاياكم وإذا فعلتُم يا بني إسرائيل، ما أمَرتكم ، فسأستُر عليكم ذنوبَكم، وأتجاوز عنها، وسأَزيد إيمانًا، أو حسناتٍ من فَضلِي- عاجلًا أو آجلًا- مَن أحْسَن في عبادة الله تعالى، ومَن أحسن للخَلْق بوجوه الإحسان المختلِفة

فغيَّر الظالمون منهم القولَ الذي أُمِروا أن يقولوه بقولٍ غيرِه، فقالوا بدَلَ حِطَّة: حَبَّة في شَعرة، وإذا بدَّلوا القول مع خِفَّته، فتبديلُهم للفِعل من باب أَوْلى وأحرى؛ ولهذا دخَلوا يَزحَفون على أَدبارِهم فأنزل الله تعالى على هؤلاء- الذين استبدلُوا بالقولِ الذي أُمِروا به قولًا غيرَه- عذابًا من السَّماء؛ بسبب خروجهم عن طاعةِ الله تعالى إلى معصيتِه

واذكُروا حين طلَب منَّا موسى ماءً لبني إسرائيل يَشرَبون منه فقلنا له اضرب بعصاك الحجر، ففَعَل ذلك، فخَرجتْ من

الحَجر اثنتَا عَشرةَ عينًا من المياه العَذْبة؛ تيسيرًا لهم، وإنعامًا من اللهِ تعالى عليهم وإنَّ كلَّ قبيلةٍ من قبائل بني إسرائيل الاثنتي عَشرة، قد عرَفَتْ محلَّها الذي تَشرَبُ منه من هذه الأعين الخارجة من الحَجر، فلا يُزاحم بعضُهم بعضًا، بل يَشربونه متهنِّئين, قال تعالى: كُلُوا واشْربوا من رزقِ الله، ولا تَسْعَوْا في الأرضِ بالفَسادِ

واذكُروا يا معشرَ بني إسرائيل حين أخبرتُم موسى عليه السَّلام بضجرِكم وكراهيتِكم للمَنِّ والسَّلوى، فقلتم لا طاقةَ لنا بحَبْس أنفسِنا على تناوُل هذا الطَّعام فادعُ لأجْلِنا يا موسى، ربَّك؛ كي يُخرجَ لنا بعض ما تنبته الأرضُ من البَقل والقِثَّاء والفُوم، ومن العَدَس والبَصَل فقال لهم موسى: أتأخُذون الذي هو أخسُّ قِيمةً وقدرًا من العيش، بدلًا بالذي هو خيرٌ منه قيمةً وقدرًا وهذه الأطعمةُ التي طلبتُم ليستْ بأمرٍ عزيز، بل هي كثيرةٌ؛ ففي أيِّ بلد دخلتموه ستجدون هذا العيشَ الذي تطلُبون وأصبح الهوانُ والصَّغار مفروضًا عليهم، وأصبح أثرُ مسكنة الفقر والحاجة والحِرص لازمًا لهم، كما أنَّه قد حلَّ عليهم غضبٌ من الله تعالى و هذا الذي جازيناهم به بسبب كفرهم بآياتِ الله تعالى الكونيَّةَ والشرعيَّة، واعتدَائهم على أنبياء الله تعالى بالقَتْل بلا وجه حقٍّ. وذلك الجزاء الذي جُوزوا به، أو ذلِك الكفر بآيات الله، والقتْل لأنبيائه، إنَّما سببُه هو عصيانُهم لله تعالى -إمَّا بارتكاب المحظور، وإمَّا بترْك المأمور- واستمرارُهم على تجاوُز حدود الله تعالى.

إنَّ الذين آمنوا -وهم أُمَّة محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ- واليهود أتباعُ موسى عليه السَّلام قَبل نَسْخ دِينهم، وقبل تحريفِه،

والنصارى أتباعُ عيسى عليه السَّلام قَبل نسْخ دِينهم، وقبل تحريفه، والصابئين والمراد الصَّابئة الحُنفاء، الذين بَقُوا على فِطرتهم بتوحيد الله عزَّ وجلَّ، وتحريم الظُّلم والفواحِش، وغير ذلك، من غير تقيُّد بمِلَّة ولا نِحلة، ودون أن يُحدِثوا كُفرًا. فمَن أحسن مِن هذه الأُمم السالِفة، وأطاع، فإنَّ لهم الثوابَ من عند الله عزَّ وجلَّ، ولهم السَّعادة الأبديَّة، فلا خوفَ عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما يُخلِّفونه.

واذكُروا حِين أَخْذنا عليكم عهدًا مؤكَّدًا بالإيمان به وبرُسله، والالتزام بشَرْعه، ورَفعْنا فوقكم الجبلَ لتخويفكم؛ كي تُقرُّوا بما عُوهِدتم عليه، وتَعمَلوا به وقُلنا لكم: تلقَّوُا التوراةَ التي أعطيناكم إيَّاها، بهمَّةٍ وحَزمٍ، وجدٍّ ونشاط، واذكُروا ما فيها بأنْ تتلوها، وتتعلَّموا ما فيها، وتتدبَّروها، وتعمَلوا بمقتضاها، من أجل أن تكونوا من المتَّقين

ثم أعرضتُم بعد هذا المِيثاق المؤكَّد، ونقضتموه بترْك العمل به ولولا أنْ أكرمكم الله تعالى، فتداركَكم بالتوبةِ وإرسالِ الرُّسل، وآخِرهم محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ، لكُنتم من الهالِكين في الدُّنيا والآخِرة

ولقد عرفتُم يا معشرَ اليهود، ما حلَّ بمَن جاوزوا منكم ما أُمِروا به مِن ترْك صيدِ البحر يومَ السَّبت، فاحتالوا على هذا الأمر، مُتعدِّين حدود الله عزَّ وجلَّ ولَمَّا فَعلوا ذلك، مَسخَهم اللهُ تعالى، فصيَّرهم بقُدرته سبحانه في صورة القِرَدة، حَقيرينَ ذَليلين

فجعَلْنا هذه العقوبةَ رادعًا لِمَن وقعت في زمنهم ومن بعدهم، وتذكرةً نافعةً للمتَّقين؛ لينزجِروا بها ويَعتبِروا

واذكروا يا بني إسرائيل، حين قال موسى عليه السَّلام لآبائكم إن الله يأمركم أن تذَبْحوا بقرة؛ كي يضربوا القتيل بجزء منها، فيَحيا، ويُخبرهم بقاتله، قالوا: أتستهزئ بنا قال موسى عليه السَّلام أعتصم بالله أن أكون جاهلا أتكلم بما لا فائدة فيه، أو أستهزئ بالنَّاس.

قال قوم موسى متعنتين ومشددين على أنفسهم: اسأل لنا ربَّك يا موسى يوضح لنا صفة هذه البقرة. قال لهم موسى عليه السَّلام: إن الله تعالى يقول: إنَّ البقرة التي سألتُم عنها ليستْ في سِنِّها بالكبيرة الهَرِمة، وليست بالصَّغيرة، بل هي متوسِّطة في السِّنِّ بين الكبيرة جدًّا، والصغيرة جدًّا. أَمَا وقد أتاكم العلمُ، فاذبحوا البقرةَ التي أُمرتم بذَبْحها؛ لتصِلوا إلى قاتل قتيلكم

قال قوم موسى له: اسأل لنا ربَّك يوضح لنا لون البَقرة المطلوب ذبْحها، قال موسى: إن الله يقول: إنَّها بقرةٌ صفراءُ صافية، شديدةُ الصُّفرة، تُدخِل السُّرورَ على مَن نظَر إليها؛ لشِدَّة حُسنها وجمال منظرها

قالوا: اسأل لنا ربَّك يا موسى يوضح لنا المزيدَ من صفات البقرة المطلوبِ ذبحُها، فإن البقر التبس واشتبه أمره علينا، وإننا إن شاء الله لمهتدون إلى هذه البقرة

قال لهم موسى عليه السَّلام: إنَّ الله تعالى يقول: إنَّ البَقرة التي أمرتكم بذَبْحها ليستْ مُذلَّلة بالعمَل، فليست بالتي أُعِدَّت لتقليبِ الأرض للحَرْث، أو سَقي الزَّرع، كما أنَّها سليمةٌ من كلِّ عيب، ولا يخالط لونَ جلدها الأصفر الفاقِع أيُّ لون آخَر قالوا الآن قد اتَّضح الحقُّ في أمْر البقرة، وجئتَ لنا يا موسى بصِفاتها

التي تُميِّزها عن غيرِها، فنستطيع معرفتَها، فوجدوها وذبَحوها، وقد أوشكوا على ترك ذبْحها

واذكُروا يا بني إسرائيل، حين قتلتم نفسًا، فتنازعتُم واختلفتم فيها، كلٌّ يَدفَع قتْلَها عن نفْسه والله تعالى مُظهِرٌ ما كنتم تخفونه من أمر القتل وتعيين القاتل

فقلنا: اضربوا القتيلَ ببعض البقرة فضَربوه، فحيِيَ بإذن الله عزَّ وجلَّ، وأخبرهم بقاتله وكما أحيا اللهُ تعالى هذا القتيلَ في الدُّنيا، فكذلك يُحيي الموتى بعد مَماتِهم، فيبعثهم يومَ القِيامة ويُظهر اللهُ تعالى لكم العلاماتِ الواضحةَ على كمال قُدرته في إحيائه الموتى، وبَعثِهم بعد موتهم؛ كي تعقلوا فتنزجِروا عمَّا يضرُّكم، وتمتنعوا عن عِصيانه جلَّ وعلا

ثم غلُظت قلوبُكم من بَعدِ ما عاينتم إحياء القتيل وغيره من الآيات، فقلوبكم في غِلظتها وشدَّتِها كالحجارة، أو أشدُّ صلابةً من الحجارة وإنَّ الحجارةَ مع قسوتها أفضلُ من قلوبِ أولئك القومِ التي لا تَلين ولا تخشع؛ ذلك بأنَّ هناك أنواعًا من الحجارة تَسيل منها أنهارٌ من المياه، ومنها أنواعٌ تلين وتتصدَّع فيَخرُج منها الماء، ومنها ما يَتردَّى من علوٍّ إلى سُفول؛ من خَشيةِ الله تبارك وتعالى وإنَّ الله سبحانه غيرُ غافلٍ عن أفعالهم الخبيثة، ولا ساهٍ عنها، بل هو حافظٌ لها، وسيُجازيهم على ذلك أتمَّ الجزاء

أفترجون أيها المؤمنون أن يصدقكم اليهود بما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم والحال أنَّ جماعةً منهم كانوا يَسمعون كلام الله يُتلَى في كتابه التوراة ثم يبدلونه، ويغيرونه،

ويصرفون معانيه إلى معانٍ أُخرى على غيرِ مُرادِ الله تعالى وهم يعلمون أنَّهم مُبطِلون، ومفترون على الله تعالى الكذبَ

وإذا قابَل منافقو اليهود، المؤمنين - النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ وأصحابه- قالوا آمنا بألسنتهم نفاقا، وبينوا لهم أن النبي المنتظر المبشر به قد انطبقت صفاته الموجودة في كتبهم على هذا النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وحين ينصرِفُ هؤلاء المنافقون من اليهود، خالين بأصحابِهم قال من لم ينافق منهم مُنكِرا على الذين نافقوا منهم: أُتخبِرون النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ وأصحابَه، بما أعلَمَنا الله تعالى به في التوراة وحكم به علينا؟! فيكون ذلك الإقرارُ حُجَّةً لهؤلاء المؤمنين علينا عند الله تعالى يوم القيامة، أنَّنا عَرَفْنا الحقَّ وترَكْنا العمل به أليس لكم إدراكٌ بعقولكم؛ فتفهموا أنَّه لا ينبغي لكم إخبارُهم بذلك حتى لا يكون حُجَّةً لهم عليكم.

أيقولون مِثْل هذا ولا يعلمون أنَّ إسرارَهم وإعلانهم عند الله جلَّ وعلا سواءٌ؟! فالله تعالى يعلم ما يُسرُّه اليهود من الكفر والتكذيب، وما يُخفونه من التلاوم بينهم على إظهارِهم ما أظهروا للمؤمنين من الإقرار، كما يَعلم ما يُعلنونه للمؤمنين بقولهم لهم: آمنَّا

وإنَّ من اليهود مَن لا يحسن القراءة والكتابة، وليسوا على عِلمٍ بالتوراة، وإنَّما لديهم مجرَّد أحاديث وأمنيات باطلة اختلقوها من تِلقاء أنفسهم، كقولهم: لن يدخُل الجنة إلَّا من كان هودًا أو نصارى، وكقولهم أيضًا: لن تمسَّنا النار إلا أيَّامًا معدودات، إلى غير ذلك، وليس معهم إلَّا مجرَّد ظنون.

هلاكٌ عظيم، وعذابٌ هائِل سيحُلُّ بالذين يُحرِّفون التوراة، فيخطُّون بأيديهم أشياءَ باطلةً مُختلَقة، ثم يدَّعون زُورًا وبهتانًا أنَّها حقٌّ من عند الله تبارك وتعالى؛ لأجْل الحصولُ على مكاسبَ دُنيويَّة فلهم عذابٌ شديد، وهلاكٌ عظيم؛ جزَّاءَ ما كتبتْه أيديهم من الكذب والافتراء على الله عزَّ وجلَّ، ولهم العذابُ والهلاك أيضًا؛ جزاءً على أخْذهم الحرامَ عوضًا على ما عملتْه أيديهم من التَّزوير والتحريف

وقالت اليهود: لن تلاقي أجسادنا نار الآخِرة، إلَّا أيامًا قليلةً، ثم ننجُوا منها. قُلْ يا محمَّد، لأولئك اليهود الذين ادَّعوا لأنفسهم ما ادَّعوا: هل عندكم مِن الله تعالى ميثاقٌ يُثبت صحَّةَ دعواكم؛ فإنْ كان قد وقَع عهد، فلكم العُذر فيما قلتم؛ فإنَّ الله تعالى لا ينقُض ميثاقه، ولا يُخلِف وعده أوْ هلْ تتقوَّلون على الله تعالى الباطِل، وتَختلِقون الكذبَ جَراءةً عليه سبحانه

ليس الأمر كما تمنَّيتُم يا معشرَ اليهود، ولكن من أشرك بالله تعالى وأحدقت ذنوبُه وخطاياه به من كلِّ جانب، فليس له منفذٌ للخروج منها، ومات عليها قَبلَ التوبة منها فأولئك الملازمون للنار على الدَّوام، لا يخرجون منها أبدًا

والذين صَدَّقوا وأقرُّوا بألسنتهم وقلوبهم، وصدَّقوا ذلك بجوارحهم، فعمِلوا الأعمالَ الصالحاتِ بإخلاصٍ لله تعالى، ومتابعةٍ للرسول صلَّى الله عليه وسلَّمَ هؤلاء هم أهلُ الجنة المقيمون فيها على الدَّوام، لا يخرجون منها أبدًا

واذكُروا يا معشر اليهود، حين أخَذْنا عليكم عهدًا مؤكَّدًا بعبادة الله وحْدَه لا شريكَ له والإحسان إلى الوالدين، قولا وفعلا، وكذلك الإحسان إلى أنواع القَرابات كافَّةً، وإلى اليتامى

-وهم من فقدوا آباءهم قبلَ البلوغ، ذكورًا كانوا أم إناثا- وإلى المساكين، وهم الفقراء. وأحسنوا القول إلى النَّاس عمومًا، فكلموهم بكلام طيب لين، ويدخل فيه الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعفو والصفح، وأقيموا الصَّلاة تامَّةً بحقوقها الواجبة عليكم، وأعطوا الزكاةَ مستحقِّيها بما فرَض الله تعالى عليكم في أموالِكم. ثم تركتم ما أخذ الله تعالى عليكم من المواثيق التي ذُكرت في الآية، وراءَ ظهوركم، فنقضتموها وأعْرَضتم عنها عن عمْد بعد العِلم بها، عدا عددٍ قليل منكم قد وفوا بتلك العهود

واذكروا حين أخَذْنا عليكم وعلى آبائكم من قبل، ألَّا يقتل بعضُكم بعضًا، ولا يُخرج بعضُكم بعضًا من دِيارهم بغير حقٍّ وبعد أخْذ هذا الميثاق عليكم، بقيتُم عليه، وقد أقررتُم بمعرفته وصحَّته، وشهدتُم عليه، فهو لديكم باقٍ، لم يغبْ عنكم، ولم تُنكِروه

ثم إنكم بعد ذلك الميثاقِ، والإقرارِ به، والشهادة عليه، نقَضتم الميثاقَ الذي أُخذ عليكم؛ فقتل بعضكم بعضًا، وأخرج بعضكم بعضًا من دِيارهم بغير حقٍّ وتعاونتم على أهلِ ملَّتكم بمعصية الله تعالى، وتجاوز حدودِه. وإن يأتوكم أسارى سعيتم في تحريرهم من الأسر، بدفع الفدية امتثالًا لما أُمِرتم به في كتابِكم من افتداءِ الأَسرى منكم، مع أنَّه قد حُرِّم عليكم في كِتابكم أيضًا إخراجُهم من دِيارهم وقتلهم. أفتؤمنونَ ببعضِ أحكام التوراة وتكفرونَ ببعضها فليس لِمَن وقَع في ذلك منكم معشرَ اليهود، سوى الذلِّ؛ عقابًا عاجلًا في الدنيا. ومن ذلك: تسليطُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ عليهم، فقَتَل منهم مَن قتَل، وسبَى مَن سبَى،

وأجْلَى البقيةَ من دِيارهم. ويوم القيامة يرجع هؤلاء الذي فعَلوا ذلك منكم- أيُّها اليهود- من ذلِّ الدنيا إلى أعظم العذاب في الآخرة والله تعالى لكمالِ عِلمه ومراقبتِه لا يَخفى عليه شيءٌ، ولا يَنسى شيئًا سبحانه وتعالى، بل هو حافظٌ عليكم أعمالَكم، ومحصيها لكم؛ ليجازيَكم بها.

أولئك الذين استبدلوا نَعيمَ الدُّنيا الفاني بنَعيمِ الآخِرة الباقي فلا يُخفَّف عنهم من عذاب يوم القيامة شيءٌ، لا زَمنًا ولا شدَّةً ولا يَستنقِذهم أحدٌ من عذاب الله تعالى

ولقد أعطينا موسى عليه السَّلام التوراة، ومِن بعدِه أرسلنا أنبياءَ إلى بني إسرائيل، فأتْبعنا بعضهم بعضًا على منهاج موسى وشريعته. وأعطَينا عيسى عليه السَّلام، معجزاتٍ تُظهر صِدقَه، وتُثبت نبوَّتَه، كإحياء الموتى، وإبراء المَرضَى، وغير ذلك وأيَّدناه بجبريل عليه السَّلام، يُقوّيه ويُعينه. أفكلَّما جاءَكم يا بني إسرائيل نبيٌّ منكم؛ ليلزمَكم بأحكام تُخالِف أهواءكم، شقَّ ذلك عليكم، فتجبَّرتم وبغيتم عليهم، مقدِّمين هواكم على هُداهم، فكذَّبتم طائفةً منهم، وقتَلتم طائفةً آخرين

وقالت اليهود معتذرين عن عدم الإيمان: قلوبِنا داخلة في غِلاف وأَغطيةٍ فلا تَفهم وليس الأمرُ كما ادَّعى هؤلاء كذبًا بل حقيقة الأمر أنَّ الله تعالى قد طردَهم من رحمته بسبب كفرهم فإنَّهم آمنوا بشيءٍ يسيرٍ مما وجب عليهم الإيمان به، لكنه إيمانٌ لا ينفعهم

لَمَّا جاء اليهودَ القرآنُ الذي أَنزله الله تعالى على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، والمشتمِل على تصديق ما معهم من التوراة و قد كانوا من قَبلِ مجيء الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّمَ بالقرآن

يستنصرون بمجيئِه على أعدائهم من المشركين إذا قاتَلوهم، ويتوعَّدونهم بقتْلهم معه فلَمَّا أتاهم ما يعرفونه من الحقِّ وصِفةِ محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ، كفروا به وكذبوه بغيا وحسدا فَلَعْنَةُ اللهِ عليهم فبسبب ذلك الكُفر؛ طرَدَهم الله تعالى وأبْعَدهم من رحمتِه، وهذا الحكم يعمُّ كلَّ كافر

بئس الشيءُ باعوا به أنفسَهم الكفرُ، فقد اختاروا الكفرَ وأخذوه، وبذلوا أنفسهم للنَّار؛ لعلمهم بصِدق محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ، وأنَّ مَن كذَّبه فالنار عاقبتُه، فاختاروا الكُفر وسلَّموا أنفسهم للنار والذي حمَلهم على ذلك بغيهم وحسدُهم لمن شاء الله تعالى أن يَخصَّه بفضله العظيم مِن دون عبادِه، فحسَدوا محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّمَ لكونه من ولد إسماعيل، ولم يكُن من بني إسرائيل ورجَع اليهودُ مستوجبين ومستصحبين غضبًا آخَرَ من الله تعالى عليهم؛ بسبب جحودِهم رسالةَ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، إضافةً إلى الغضب الأوَّل الذي اكتسبوه لذنوبٍ سلَفتْ منهم، وللجاحدين نبوَّةَ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ من الناس كلِّهم عذابٌ من الله يُهانون فيه ويُذلَّون

وإذا قيل لليهود الذين كانوا على عهد رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ: آمِنوا بالقرآن الذي أَنزلَه اللهُ تعالى، قالوا يَكفينا الإيمانُ بالتوراة ويَجحدون بما بعد التَّوراة من كتُب الله تعالى التي أنزلها إلى رُسلِه عليهم الصَّلاة والسَّلام، والحال أنَّ ما أنزله الله عزَّ وجلَّ هو الحقُّ الموافِق لِمَا عندهم من التوراة؛ فَلِمَ يؤمنون بما أُنزل عليهم، ويَكفُرون بنظيره؟! فكُفرهم بالقرآن، كُفرٌ بما في أيديهم. قلْ يا محمَّد لهؤلاء اليهود: إنْ كنتم صادقين في دَعواكم الإيمانَ بالتوراة، فَلِمَ قَتلتُم-والمقصود أسلافُهم-

الأنبياءَ الذين جاؤوكم، وأنتم تعلمون صِدقَهم، وقد أمرَكم في التوراة باتِّباعهم وطاعتهم؟! وهذا تكذيبٌ لهم في قولهم: {نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا}

ولقد جاءكم يا معشرَ اليهود، موسى عليه السَّلام، بالآيات الواضحاتِ، والأدلَّة القاطعة على صِدقه، كالعصا واليَد، وغيرهما من المُعجِزات ثم إنَّكم كفرتُم بما جاءكم به موسى عليه السَّلام من توحيدِ الله تعالى، فجعلتُم العِجل إلهًا تَعبُدونه، من بعد ذَهاب موسى إلى الطُّور لمناجاة ربِّه، وأنتم بهذا قد تَعدَّيتم حدودَ الله عزَّ وجلَّ، فليس في التوراة- التي تَدَّعون تمسُّككم بها فحسبُ- أمرُكم بعبادة العِجل؛ فدعواكم أنَّكم مؤمنون بالتوراة، باطلةٌ

واذكُروا يا معشر اليهود، حين أَخذْنا عليكم عهدًا مؤكَّدًا بالإيمان بالله سبحانه وبرُسله، والالتزام بشرعِه، ورَفعْنا فوقكم الجبلَ لتخويفكم؛ كي تقرُّوا بما عُوهِدتم عليه، وتعملوا به وقلنا لهم: تلقَّوُا التوراة التي أعطيناكم إيَّاها، بهِمَّةٍ وحزمٍ، وجِدٍّ ونشاط، واسمعوا لكلام الله تعالى سماعَ قَبول واستجابة وانقياد وكان جوابهم على ما سبق أنْ قالوا: سمِعْنا بآذاننا قولَك، وعصينا بأفعالِنا ما أُمِرْنا به وخالَط حبُّ العِجل وعبادته قلوبهم، وتغلغل في أعماقها، وإنَّما وقع لهم ذلك؛ بسبب كفرهم وجُحودِهم الحقَّ قل - يا محمد- لهؤلاء اليهود الذين يدعون الإيمان بما أنزل عليهم-: بئس الشيء الذي يأمركم به إيمانكم قتل الأنبياء وعبادة العجل والعصيان إن كنتم صادقين في دعوى الإيمان

قلْ يا محمَّد، لهؤلاء اليهود: إنْ كان نعيم الآخرة مقصورًا عليكم وحدكم دون بقيَّة الناس- كما تزعمون- فاطلبوا الموت وسلوه إن كنتم صادقين في زعمكم

ولن يتمنى اليهود الموت أبدا بسبب ما اكتسبوه من كُفرٍ ومعاصٍ، ومن ذلك تكذيبهم النبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام، وكتمانهم صفتَه الموجودة في توراتهم والله عليم بالظالمين، ليس بغافل عنهم ولا ساهٍ، بل هو حافظٌ لأعمالهم، وسيجازيهم على ظُلمهم.

مِن المؤكَّد يا محمَّد، أن تجِد هؤلاء اليهودَ أشدَّ الناس حرصًا على البقاء في الحياة الدُّنيا، وأشدَّهم كراهةً للموت؛ لعِلمهم بما لهم في الآخِرة من العذاب، وأن تجد حبَّهم للمُكث وطولِ العُمر في الدُّنيا فاق حتى أولئك المشركين. يودُّ أحدهم قيل: أي أحدُ اليهود- وقيل: أي أحدُ المشركين- مِن حِرصه على المُكث في هذه الحياة الفانية، أن يَطولَ عُمُرهُ حتى يبلغَ أَلْفَ سَنةٍ، والحال أنهم لو عمروا العمر المذكور، لم يغن عنهم شيئا ولا دفع عنهم من العذاب شيئا والله تعالى يرَى كلَّ ما يفعلونه، لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك وسيجازيهم عليه.

قلْ يا محمَّد، لهؤلاء اليهود الذين زعَموا أنَّ الذي منَعَهم من الإيمان برسالتك، أنَّ وليَّك جبريلُ عليه السَّلام مع أنه عدوهم - قل لهم: مَن عادى جبريلَ عليه السَّلام، فليعلمْ أنه هو الذي نزَل بالقرآن على قلبِك، وجبريل إنَّما ينزل بأمْر الله تعالى، وهذا يَعني أنَّهم بقولهم ذلك يُعادُون الله تعالى في الحقيقة وإنَّ القرآن نزَل والحال أنَّه متطابق مع الكتُب الإلهيَّة الأخرى التي سبقتْه كالتوراة، وموافِق لها، وهو دَلالة على الحقِّ، وبُشرى من الله

تعالى للمؤمنين خاصَّةً، ومن بشاراته لهم ما أعْلمَهم الله تعالى فيه بما أعدَّ لهم في الآخِرة من النَّعيم المقيم

إنَّ مَن عادى الله تعالى، أو أحدًا ممَّن ذُكروا من الملائكة عمومًا، أو جِبريل وميكال خصوصًا، أو مِن بقيَّة رُسل الله الكِرام من البَشر كمحمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ، مَن عاداهم أو أحدًا منهم فإنَّه كافر، والله تعالى يتَّخذه عدوًّا له؛ لأنَّه سبحانه يُعادي كلَّ كافر

قد أنزلنا إليك- يا محمَّد- فيما أُوحي إليك من القُرآن، آياتٍ هي دلائل واضحة على صِدق نبوَّتك وهذه الآيات البيِّنات قد بلَغتْ من الوضوح والدَّلالة على الحقِّ، مَبلَغًا عظيمًا، ووصلتْ إلى حال لا يكفر بها ويجحدها إلَّا مَن خرَج عن طاعة الله، وامتنع من الالتزام بشريعته

أكلما وعَد اليهود بالالتزام بعهدٍ من العهود، نقَضَه جماعةٌ منهم وطرَحوه، تاركين الوفاءَ به وإنَّ أكثرَ اليهود غير مصدِّقين بالحقِّ اعتقادًا وقولًا وعملًا، وعدَم إيمانهم هو الذي حمَلَهم على نبْذ العهود ومن ذلك نبذهم للعهد بالإيمان بمحمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ واتِّباعه

ولَمَّا أتى اليهودَ رسولٌ مرسَلٌ من قِبل الله عزَّ وجلَّ، وهو محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، وقد جاءهم بصفته الموافقة لِما في التوراة، ترَك طائفةٌ من اليهود أصحابِ التوراة، العملَ بالتوراة التي أنزلها الله تعالى عليهم، بالدُّخول في دِين محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، ترَكوا ذلك متجاهلين، وكأنَّهم لا يعلمون ما في التوراة من البشارة بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ والأمر باتِّباعه

واتَّبع اليهود ما تختلقُه الشياطينُ وتتقوَّلُه، من السِّحر على عهد سليمان، وتَنسُبه إليه، حيث أخرجت الشياطين للناس السِّحر، وزعَموا كذبًا أنَّ سليمان عليه السَّلام كان يستعمله، وأنه حصَل له به المُلك العظيم وإنَّ سليمانَ عليه السَّلام لم يكُن كافرًا يمارس السِّحر، أو يُعلِّمه للآخرين؛ فالسِّحر كُفر، بل الذين كفروا بسبب السِّحر في الحقيقة هم الشياطين الذين يُعلِّمونه للناس؛ إضلالًا لهم واتَّبع اليهود أيضًا السِّحرَ، الذي أُنزل على الملَكين: هاروت وماروت، في بابل من أرضِ العِراق وما يعلِّم هذانِ الملَكانِ السِّحرَ لأحدٍ من الناس، حتى يَنصحاه فيقولَا له: إنَّما نحن هنا لتعليم السِّحر؛ اختبارًا وابتلاءً لبني آدم، فلا تَكفُرْ بالله؛ بسبب تعلُّم السِّحر وممارسته فيتعلَّم الناسُ السِّحرَ من المَلَكينِ بما يَتصرَّفون به تصرُّفاتٍ مذمومةً، من أعظمِها التفريقُ بين الزَّوجين، مع ما بينهما من المودَّة والرَّحمة وما هؤلاء المتعلِّمون السِّحرَ من الملَكيْن، وفاعِلو تلك الأفعال القَبيحة، بضارِّين بذلِك أحدًا من الخَلْق، إلَّا بإذن الله تعالى الكوني، أي: بقُدرته ومشيئته سبحانه وإنَّ السِّحرَ الذي يتعلَّمه هؤلاء المشتغِلون به ضررٌ محضٌ عليهم في الدنيا، ليس فيه نفْعٌ مطلقًا وقد علِم أولئك اليهودُ أنَّ مَن استبدل السِّحرَ بكتاب الله تعالى ومتابعةِ محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، أنَّه ليس له في الآخِرة حظٌّ ولا نصيبٌ من الجَنَّة ولبئس البديلُ السِّحرُ الذي تعلَّموه، بديلًا عن كِتاب الله تعالى، ومتابعة رُسله عليهم الصَّلاة والسَّلام، لو كانوا يَعلمون أنَّهم إنَّما باعُوا أنفسَهم، وحظَّهم من الآخِرة بما يَضرُّهم في الدُّنيا أيضًا، ولا ينفعهم

ولو أنَّهم اختاروا الإيمانَ والتقوى بدلَ السِّحرِ، لكان اللهُ يثيبُهم على ذلك ما هو خيرٌ لهم ممَّا طلبوه في الدُّنيا لو كانوا يَعلمون ذلك لآمنوا واتقوا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا لنبيكم رَاعِنَا. فهم وإن كانوا يعنون بها طلبَ المراعاة إلا أن اليهود كانوا يقولونها يعنون بها الرُّعونةَ؛ سخريةً من النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ فنهاهم الله عنها سدا لهذا الباب ولكن قُولُوا انْظُرْنَا أي: انتظرنا وأمهِلْنا حتى نفهم عنك ونتعلم منك. واسمعوا لأوامره سَماعَ استجابةٍ وطاعةٍ وللكافرين من اليهود ومِن غيرهم في الآخرة عذاب مؤلِم موجِع

لا يحبُّ الكفَّارُ من أهل الكتاب، أو مِن المشركين أن يُنزِّل الله تعالى على المؤمنين أيَّ خيرٍ منه سبحانه، ومِن ذلك القرآن المنزَّل على محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ. والله يُؤثِر برحماته مَن شاء مِن عباده بعِلمه وحِكمته، ومن ذلك منْح النبوَّة والرّسالة لمحمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ؛ فهو رحمة له ولغيره، وهو سبحانه ذو العَطاء الواسِع الكثير

ما نرفع من حكم آيةٍ فنبدِّله ونغيِّره أو ما نُزِلْه من الآيات؛ فنَمْحُه من قلبِ الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه رضي الله عنهم نأتِ بخيرٍ من الذي نسخناه أو محوناه من قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أو بمثله في خيريَّته ووجوه نفْعه . وقد علمت وتبين لك قدرة الله على كل شيء، ومن ذلك أنه قادر على أن ينسخ ما يشاء ويُثبت ما يشاء، ويَحكُم بما يشاء

قد علمت أنَّ الله تعالى مالكٌ لجميع خلْقه، ومتصرّف فيهم بما يَشاء؛ إذ له الخَلْق والأمر، فكذلك يحكُم في عباده بما يَشاء

ولا مُعقِّب لحُكمه. وما لكم سوى الله عزَّ وجلَّ أيُّ أحدٍ يتولَّاكم، فيَجلِب لكم الخير، وليس لكم سوى الله تعالى أيُّ أحدٍ ينصرُكم، فيدفع عنكم الشرَّ

أتريدون أن تسألوا رسولكم محمَّدا صلَّى الله عليه وسلَّمَ- الذي أُرسل للناس كافَّةً- أسئلةَ تعنُّتٍ أو اعتراض، أو اقتراح للآيات، كما كان سلَف اليهود يَسألون موسى عليه السَّلام أسئلةً من هذا القَبيل ومَن يأخذ الكفر عِوضًا عن الإيمان، فقد حادَ عن وسَط الطريق، وانحرَف إلى جوانبه التي تُفضِي به إلى طُرق الهلاك

تمنى كثير من اليهود والنَّصارى أن يرتدَّ المؤمنون عن دِينهم، فيَكفروا وقد سعَوا في ذلك، وأعمَلوا المكايد، وتلك الأمنية سببُها الحسدُ المتمكِّن في نفوسهم للمؤمنين على ما آتاهم اللهُ تعالى من فَضلِه، بالهداية إلى دِينه القويمِ، وهذا الحسَد إنَّما صدَر منهم بعدَ أن تبيَّن لهم الحقُّ المبِين فاتركوا عِقابَ أهلِ الكِتاب على مساوئ كلامِهم، وغلِّ قلوبهم، ومكْر أعمالهم؛ واترْكُوا لَومَهم ومعاتبتهم، وأَعْرِضوا عن ذلك كلِّه، وكأنَّ شيئًا لم يكُن حتى يُحدِث اللهُ تعالى لكم من أمْره فيكم ما يشاء، ويَقضي فيهم ما يُريد، بما يَشفِي غليلَكم، ويُذهِب غيظَ قلوبِكم . إنَّ الله تعالى على كل شيء قدير، ولا يُعجِزه شيءٌ أبدًا

وأقيموا الصَّلاة بحدودها وفروضها تامَّةً كما أمَر الله عزَّ وجلَّ، وأعطوا الزَّكاة كما شُرعت، ومهما فعَلتم من خير، فلن يَضيعَ، بل هو محفوظٌ ومدَّخَرٌ لهم عند البصير العليم، الذي لا تَخفى عليه خافيةٌ من أعمالكم الظاهِرة والباطِنة

وقالت اليهودُ: لن يَدخُلَ الجنَّةَ إلَّا مَن كان يهوديًّا، وقالت النَّصارى: لن يَدخُل الجَنَّةَ إلَّا مَن كان نصرانيًّا. تلك الدَّعاوى التي يُطلقها اليهودُ والنَّصارى، إنَّما هي مجرَّدُ أباطيل وأمانيِّ نفوسٍ كاذبة، يتمنَّونها على الله تعالى بغير حقٍّ. قل لهم يا محمَّدٍ: أحضروا الحُجَّة على دَعواكم تلك، إنْ كنتم محقِّين فيما تزعمون

ليس الأمرُ كما زعموا، ولكن مَن أخلص العملَ لله تعالى وحْدَه لا شريكَ له، وهو مع إخلاصه فيه مُتَّبِع لشريعة النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ فله ثوابه على ذلك عند الله عزَّ وجلَّ، فهم أهل الجَنَّة وحْدهم، لا خوفَ عليهم ممَّا يستقبلونه من أمور الآخِرة، وهم في سُرور دائم؛ فلا يَحزنون على ما فاتهم من أمور الدُّنيا

وقالت اليهود: دِين النصارى باطل، ليس فيه شيءٌ من الحقِّ مطلقًا. وقالت النصارى: دِين اليهود باطل، ليس فيه شيءٌ من الحقِّ مطلقًا. والحال أنَّ هؤلاء المدَّعين من اليهود والنصارى، يَقرؤون كتُبَهم ويعلمون ما فيها من الحقِّ، فيقرأ اليهود التوراة وهي تتضمَّن التبشيرَ بعيسى وصِحَّة نبوَّته ، ويقرأ النَّصارى الإنجيل وهو يَتضمَّن صِدقَ موسى وتقريرَ التوراة، فكيف يدَّعي كلٌّ منهما أنه ليس في دِين الآخر شيءٌ من الحقِّ مطلقًا. وكما قال هؤلاء قال أهل الجهل من مشركي العرب وغيرهم قالوا للنبي صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه: لستم على شيء. فالله تعالى يقضيَ ويَفصِل بين هؤلاءِ المختلِفين- القائِلِ بعضُهم لبعض: لستُم على شيء من الحقِّ- يومَ القيامة، وسيَجزي كلَّ مبطل على باطله

لا أحدَ أظلم ممَّن منَعَ العبادة في بيوت الله تعالى، واجتهد وبذَل وُسعَه في إفسادها حسيًّا ومعنويًّا وقد منَع اللهُ تعالى أولئك الذين يسعَون في خراب بيوت الله تعالى حسيًّا ومعنويًّا، منْ أنْ يدخلوها إلَّا وقلوبهم وجِلة؛ خوفًا من عقوبة إلهيَّة تحلُّ بهم، أو خوفًا من المؤمنين أن يعاقبوهم. أولئك لهم ذلٌّ وعارٌ يحلُّ بهم في الدُّنيا، من قَتْلٍ، أو سَبيٍ، أو جزيةٍ، أو فضيحةٍ، أو غير ذلك، أمَّا في الآخرة فلهم عقوبةٌ عظيمة وعذاب شديد

ولله تبارك وتعالى مُلكَ الجِهة التي تطلُع منها الشَّمس، ومُلك الجِهة التي تَغيب منها، وله مُلك جميع ما بينهما من الجِهات والمخلوقات وإنَّكم حيثما كنتم وتوجَّهتم في صلاتكم نحو الجهة التي شرعها الله تعالى، فإنكم تتَّجهون إلى الله عزَّ وجلَّ في الحقيقة؛ لأنَّ المصلِّي إذا توجَّه إلى القبلة، فقد استقبل وجه الله سبحانه حقيقةً إن الله عزَّ وجلَّ واسعُ الرَّحمة والمغفرة والعِلم، واسع الجُود والعطاء، وغير ذلك من صِفاته الحُسنى، وهو ذو عِلمٍ محيطٍ بكلِّ شيء، لا يَغيب عن عِلمه شيء أبدًا

وقالوا اتخذ الله لنفسه ولدا. فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى: المسيح ابن الله وقال المشركون: الملائكة بنات الله. تنزَّه الله وتعالى علوًّا كبيرًا عن أن يكون له ولد، وليس الأمر كما افتروا، فهو سبحانه مالك جميع ما في السموات وجميع ما في الأرض، وهو خالقهم ومصرفهم كيف شاء، والجميع عبيد له بلا استثناء خاضعون له تحت تدبيره، فكيف يكون له ولد منهم؟!

خالق السَّمواتِ والأرضَ مِن العدم، على غيرِ مِثالٍ سابقٍ؛ فكيف يدعون له الولد ويجعلون له نظيرًا وشريكًا وجزءًا مِنه

سُبحانه جلَّ شأنُه؟! وإنَّه سبحانه إذا أراد شيئًا، فحسبُه أن يقول له: كن، فيكون ذلك الشيء على وَفقِ ما يُريد الله تبارك وتعالى، ومن ذلك خَلْق المسيح عيسى عليه السَّلام، فقد خلَقَه بكلمة كن

وقال الجهلة -قيل: هم مُشركو العرب وقيل: اليهود والنصارى-: هلَّا كلمنا الله بتصديق رسوله محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ؟ أو تأتينا معجزةٌ دالَّة على صدق ما جاء به؟ وهذا الطَّلب قد صدَر منهم على سبيل التعنُّت والعِناد، وإلَّا فقد جاءتْهم آيات كثيرة دالَّة على صِدق بِعثة النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، ومنها القرآن الكريم وقد طابق قولهم ذلِك قول مَن قَبلهم من الأُمم السابقة من اليَهود والنصارى وغيرِهم. تشابهت قلوبُ الكفَّار في ردِّ الحق، والعِناد والتعنُّت؛ ولذا جاءتْ أقوالهم متوافقةً، وإن اختلفت مذاهبُهم وأساليبهم في ذلك. قد أَظهَرْنا ووضَّحنا العلاماتِ الدالَّاتِ على صِدق الرُّسل عليهم السَّلام- ومنهم محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ-، ولكنْ ذلك لِمَن كان اليقين من خِصالهم الدَّائمة؛ فهؤلاء هم الذين تنفعهم الآيات لا من شك فيها

إنا قد أرسلناك بالحق يا محمد، فبِعثتُك حقٌّ، وما جئت به من عند الله عزَّ وجلَّ حقٌّ، والحال أنَّك مبشِّر مَن أطاعك بنيل السَّعادة في الدنيا والآخِرة، ومحذِّر ومُخوِّف مَن عصاك بالشَّقاوة في الدُّنيا والآخِرة، وإنَّك لستَ مؤاخَذًا يا محمَّد، على بقاء الكفَّار -أصحاب النار الملازِمين لها- على كُفرهم؛ فلن تُسألَ عنهم بعد أنْ بلَّغتَهم بالحقِّ؛ فإنَّما عليك البلاغ فحسبُ، وحِسابهم على الله عزَّ وجلَّ.

ولن تَرضى عنك اليهودُ، حتى تتركَ دِينَ الإسلام وتعتنقَ دِينَهم، ولن ترضَى عنك النَّصارى، حتى تتركَ دِينَ الإسلام وتعتنقَ دِينهم. قل يا محمَّد- إجابةً لهم في عدَم اتِّباع ملَّتهم-: ليس الهُدى ما أنتم عليه كما تدَّعون، بل الذي أُرسلتُ به هو هُدَى الله الحقيقيُّ؛ فإنَّه الدِّينُ المستقيم، والصَّحيح، والكامِل ويُخاطِب اللهُ تعالى نبيَّه محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّمَ- والأمَّة تبَعٌ له في ذلِك قائلا: لئن اتبعتَ أهواءَهم يا محمَّد، فاعلمْ بأنَّه ليس لك حينذاك أيُّ أحدٍ يتولَّى أمرَك؛ فيجلِب لك خيرًا، أو أيُّ نصيرٍ ينصرُك من الله تعالى؛ فيَدفَع عنك شرًّا

يمدح الله تعالى من أقام كتابَه من أهل الكتاب فيقول: الذين أعطيناهم الكتاب يتبعونه حقَّ الاتباع، ولا يجترئون على تحريفه، وإنكار ما يحمله من البشارة بمحمد صلَّى الله عليه وسلَّم، المذكور فيه بصفته ونعته، أولئك يؤمنون بالنبي صلى الله عليه وسلم. وإنَّ مَن يكفُر من أهل الكتاب بكتابه الذي أُوتيه من عند الله عزَّ وجلَّ- ومِن الكفر به: تحريفُه وتبديلُه، وجَحْد نبوَّة محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ الثابتة فيه- فقد بخَس نفْسَه حظوظَها من رحمة الله عزَّ وجلَّ

يا بَنِي يعقوب اذكُروا نِعمي على آبائكم ذِكرًا يحملكم على شُكرها بالخضوع لله تعالى، وذلك بالدُّخول في دِينه، واتِّباع رسولِه الكريم صلَّى الله عليه وسلَّمَ، ومنها النِّعم المذكورة في هذه السُّورة الكريمة، واذكُروا تفضيلي لكم على سائرِ الأمم من أهل زَمانِكم، بإرسال الرُّسُل منكم، وإنزال الكتُب عليكم، وغير ذلك من النِّعم الخاصَّة

واجعلوا بينكم وبين يوم القيامة وقاية تقِيكم من عذابِ الله سبحانه، فلا تَقضِي في يوم القِيامةِ نفْسٌ عن نفْسٍ حقًّا وجَب عليها لغيرها، ولا يُغني فيه أحدٌ- كائنًا من كان- عن أيّ أحدٍ - ولو كان من عَشيرته الأقرَبين- شيئًا، ولو كان قليلًا جدًّا. ولا يُقبَل منها فِداءٌ ولا تنفعُ من أيّ نفْسٍ شفاعةٌ لنفْسٍ أخرى إذا كانت كافرةً على الإطلاق وأمَّا المؤمنة فتُقبل منها، بإذن الله تعالى للشافع، ورِضاه عن المشفوعِ له. وليس لهم أحدٌ يُنقِذهم من عذابِ الله تعالى

واذكُر يا محمَّد، إذ اختبر الله خليله إبراهيمَ عليه السَّلام بتكاليفَ فرَضها عليه، فأدَّاها إبراهيمُ عليه السَّلام على وجهٍ تامٍّ، قال الله له: إنِّي مُصيِّرك يا إبراهيم، إمامًا يأتمُّ بك الناسُ، ويَقتدون بك قال إبراهيم: رب واجعل من ذُريَّتي أئمَّة قال الله تعالى: لا تحصل مرتبة الإمامة في الدِّين لأحد من الظالِمين من ذريَّتك.

واذكُر يا محمَّد، إذ جعلنا البيت الحرام محلًّا يَشتاقُ إليه الناسُ على الدوام، فيَرجعون إليه، ولو تردَّدوا إليه عِدَّةَ مرَّات، وجعلناه أمنا لهم يأمنون فيه على أنفسهم وأموالهم، وحتى الحيوانات والجمادات تكون آمنةً فيه واجعَلوا من مقامات إبراهيمَ عليه السَّلام، وهي شعائرُ الحجّ، كعرفةَ ومزدلفةَ، ورمْي الجمرات، وغيرها- اجعلوها أماكنَ للعِبادة والذكر والدُّعاء، ومن ذلك أداءُ ركعتَي الطَّواف خَلْفَ مقام إبراهيمَ عليه السَّلام. وأوْحَيْنا إلى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بوصيةٍ مؤكَّدة، أن طهرا بيت الله تعالى من الشِّرك، والكُفر

والأوثان، ومِن الرِّجس والنَّجاسات لأجْل مَن يطوفون بالكعبة، ومَن يعتكفون في المسجد الحرام، ومن يصلون فيه

واذكُر إذ قال إبراهيم عليه السَّلام رب اجعل مكَّةَ بلدا يأمن فيه أهله من الخوف وارزق مؤمني أهل مكة من أنواع الثمار المختلفة. قال الله تعالى: وإنَّ الكافر ينال رزقه الدنيويَّ أيضًا لكنَّه قليلٌ زمنًا ووصفًا، بالنسبة لنعيم الآخرة الكامل، والدائم بلا انقطاعٍ ولا نهاية. ثم أُلجئه وأَدفعه وهو مُكرَه إلى النار، وبئس المرجعُ عذابُ النار

واذكر إذ يرفع إبراهيم أسس الكعبةِ، وإسماعيلُ يُعاونه بنقْل الحجارة، وهما يقولان: ربنا تقبل منا بِناءنا البيتَ؛ إنك أنت السميع لأقوالنا، العليم بأعمالنا ونيَّاتِنا

ربنا واجعلنا على الدَّوام، خاضعَينِ لك سبحانك بطاعتك، ومنقادَينِ لحُكمك، ومستسلمَينِ لأمْرك، واجعل من بعض ذريتنا جماعةً مستسلمة لك، طائعةً لأمرك، وخاضعةً لحُكمك جلَّ وعلا، وبيِّن لنا مشاعرَ الحجِّ، ومواضعَ العبادة فيه، وعرِّفها لنا؛ فنراها، ووفِّقنا للتوبة، فنرجع من معصيتك إلى طاعتك؛ فأنت وحْدَك سبحانك التوَّاب؛ بتوفيقِ عبدك للتوبة أولًا، وقَبولها منه ثانيًا، وأنت وحْدَك الرَّحِيم؛ فتختصُّ برحمتك عبادَك المؤمنين

ربنا وابعث في ذريتنا رسولًا منهم يقرأ عليهم كتابَك الذي تُوحيه إليه، ويُعلِّمهم معاني القرآن، ويُعلِّمهم السُّنة، ويُطهِّرهم من الشِّرك بالله، ويُنمِّي أخلاقهم بتوحيد الله تعالى وطاعته، إنك أنت وحْدَك العزيز الذي لا يُعجِزه شيءٌ أراده، فأعطِنا وذريتنا

ما طلبناه منك، وأنت وحْدَك الحكيم، الذي يَضعُ كلَّ شيء في موضعه اللائِق به، فأعطِنا ما يَنفعُنا وينفع ذُريتَنا

لا أحدَ يعدِل عن الحنيفيَّة؛ دِينِ إبراهيم الخليل عليه السَّلام، إلَّا مَن كانت نفسُه جاهلة، طائشةً، غير راشدة، ولقد اخترنا إبراهيم واجتبيناه في الدُّنيا، وإنَّه من الفائزين السُّعداء في الدار الآخِرة، وفي الرَّفيق الأعلى مع إخوانه المرسَلين والأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام

واذكر إذ قال لإبراهيم ربه تعالى: أخلص دِينَك وتوحيدَك لي، وانقد إليه بكل ذلٍّ وخضوعٍ ومَحبَّة، فأجاب إبراهيمُ إلى ذلك على الفور قائلا أسلمت لله خالق العباد ورازقهم ومدبر أمورهم

وعهِد إبراهيمُ عليه السَّلام بهذه الكلمة أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ، والتي تمثِّل المِلَّةَ الحنيفيَّة، عهِد بها إلى أبنائه، وكذلك فعَل حفيدُه يعقوب بن إسحاق، فعهِد بها إلى أبنائه إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد اجتبَى لكم هذا الدِّين الذي تعرفونه، فلا تُفرِّطوا فيه، ولا تُفارقوه في حياتِكم، بل الْزَموه وقُوموا به؛ ليرزقَكم الله تعالى الوفاةَ عليه

هل كنتم يا معشرَ اليهود، المكَذِّبين بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، شهودًا حاضرين حين أتتْ أباكم يعقوبَ عليه السَّلام مقدِّماتُ الموت، وهل شهدتُم يعقوب، وهو يسأل أبناءَه مختبرًا لهم: أيَّ شيءٍ ستعبُدون من بعد وفاتي، قالوا: نعبد الله معبودَك ومعبودَ آبائك: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق عليهم السلام- وهو الذي لا مَعبودَ بحقٍّ سواه، لا نشرِك به في عبادته أحدًا من دونه، ونحن له مُستسلِمون ومنقادون لأمْره، خاضِعون لعبادتِه

تلك جماعةٌ قد مضَتْ فلا يَنفعُكم الانتسابُ إليهم يا معشرَ اليهود والنَّصارى إذا لم تفعلوا خيرا يعود نفعه عليكم فكلٌّ منكم له عملُه الذي يخصُّه، من خيرٍ أو شر، ولا يَلحق الآخَر من ذلك شيءٌ، ولا تُحاسَبون بأعمال سَلفِكم، وإنَّما تُحاسَبون بأعمالكم

وقالت اليهود للمؤمنين: كونوا هودًا، تَهتدوا، وقالت النَّصارى لهم: كونوا نصارى، تَهتدوا، قلْ لهم يا محمَّد: إنَّ الهداية ليستْ في دِينكم من اليهوديَّة، أو النصرانيَّة، وإنَّما الهداية الحقيقيَّة في اعتناق دِين إبراهيم عليه السَّلام، الذي حقيقتُه الاستقامةُ على طريق التوحيد، والميلُ عن طريق الشِّرك. ولم يكُن إبراهيمُ عليه السَّلام من عبَّاد الأصنام، ولم يكُن يهوديًّا ولا نصرانيًّا.

قولوا -أيُّها المؤمنون- آمنَّا بالله وبالقرآن الذي أنزل إلينا وآمنا بما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء من ذريَّة يعقوب، وبما أعطاه اللهُ تعالى لموسى من التوراة والمعجِزات، وما أعطاه لعيسى من الإنجيل والمعجزات، وما أعطيه بقيَّة الأنبياء عليهم السَّلام، لا نفرق بين أحد منهم في الإيمان فنُؤمِن ببعضٍ ونكفُر ببعض، بل نحن بالجميعِ مؤمنون، ونحن للهِ تعالى وحْدَه دون مَن سواه مستسلِمون ظاهرًا وباطنًا، وله خاضِعون بالطَّاعة، ومذعِنون بالعبوديَّة

فإنْ آمَن اليهودُ والنَّصارى إيمانًا مماثلًا من كلِّ الوجوه لإيمانكم- أيُّها المسلمون- ومِن ذلك الإيمانُ بجميعِ كتُب الله تعالى، وبجميع رُسله عليهم الصَّلاة والسَّلام- فقد رَشَدوا ووُفِّقوا للحقِّ والخير، وإنْ أعرَضوا عن الحقِّ بعد إقامة الحُجَّة عليهم،

فلم يُؤمِنوا بمِثل إيمانكم، فاعلموا- أيُّها المؤمنون- أنَّهم يَقصِدون المخالفةَ والمنازعةَ والعداوةَ لكم، فإنَّ الله تعالى سيَكفيك يا محمد أمْرَهم، ويَدفع أذاهم عنك وينصُرك عليهم؛ فهو سبحانه السميعُ لِمَا يقولون، والعالِمِ بما يُبطنون وما يُظهرون، من المكائدِ وأنواعِ الشُّرور

ألْزَموا دِينَ الله تعالى الإسلام، وقوموا به خيرَ قِيام، فلا أحَدَ أحسنُ من الله تعالى دِينًا، ونحن له سبحانه دون مَن سواه، مخلِصون، خاضِعون، ومتذلِّلون، مع المحبَّةِ الواجِبة له سبحانه

قل يا محمَّد، لهؤلاء اليهودِ والنصارَى: هل تُجادِلوننا وتُخاصمونننا في توحيدِ الله تعالى لإبطالِ دِين الإسلام، بزعْم أنَّكم أَوْلَى بالله منَّا؟! وكيف تدَّعون ذلك وربُّ الجميعِ واحد، فهو ربَّنا وربكم، ولكلٍّ منا ومنكم أعمالُه التي اكتسبها وسيُجازيه الله تعالى بها؛ فأنتم لستم بأفضلَ منَّا، بل نحن أَوْلى بالله منكم؛ لأنَّنا لا نُشرِك به شيئًا في عبادته، وأنتم تُشركون

أم تقولون يا أهل الكتاب: إنَّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء من ذرية يعقوب كانوا على مِلَّتكم، إمَّا اليهوديَّة وإمَّا النصرانيَّة، زاعمين بذلك أنَّكم أَوْلى بأولئك الرُّسُل الكِرام من المسلمين، قل لهم: يا محمَّد -إنِ ادَّعوا ذلك: هل أنتم أعلمُ بالدِّين الذي كانوا عليه، أم اللهُ، ولا أحدَ أشدُّ ظلمًا في كتمان الشهادة، ممَّن كتَموا ما أنزله الله تعالى في كتُبه، من أنَّ هؤلاء الأنبياء المذكورين كانوا مُسلِمين واللهُ تعالى ليس بساهٍ عنكم، بل هو مُطَّلِعٌ على أعمالِكم، وقد أحصاها صغيرَها وكبيرَها، لا تخفَى عليه منكم خافيةٌ وسيجازيكم عليها

تلك جماعةٌ قد مضَتْ فلا يَنفعُكم الانتسابُ إليهم يا معشرَ اليهود والنَّصارى إذا لم تفعلوا خيرا يعود نفعه عليكم فكلٌّ منكم له عملُه الذي يخصُّه، من خيرٍ أو شر، ولا يَلحق الآخَر من ذلك شيءٌ، ولا تُحاسَبون بأعمال سَلفِكم، وإنَّما تُحاسَبون بأعمالكم